

الشرق بعيون نيبور



مساهرات رحالة الملاي عن

نيبور يقول: العرب ملكوا الساحل

على الأوروبين الذين يعيشون بين

لقد حرصت الوثيقة ومنذ عدها الاول ان تحشد قدر المستطاع آراء بعض الكتاب القدامى مع التركيز على الذين عايشوا الاحداث ورأوها رأى العين وذلك لان الهدف الرئيسي هو توفير اكبر كم من المادة التاريخية الممحصنة ليكون ركيزة لجيل جديد من الباحثين نتمنى ان تشهده منطقتنا وليكون فى نفس الوقت دليلا للقارىء العادى يعرف منه جوانب من الحياة الماضية على هذه الارض وهى جوانب كانت مجهولة الى حد بعيد . وليس معنى عرضنا لرؤية كاتب ما أننا نؤيد كل ما قاله او نتفق معه فيه او نقر بأنه صحيح مائة بالمائة «فالوثيقة» دورية متخصصة وأى دورية متخصصة يقاس نجاحها بمقدار ما تفجره من نقاش وما تقدمه من آراء متباينة ليست بالقطع فصل الخطاب .



الشرق من الغرب إلى الاندوس المسلمين أن يحرموا تقاليدهم ومساكنهم

لقد اعتمد كل المؤرخين المعاصرين الى حد بعيد على رحلات وكتابات مجموعة من الرحالة العرب والامان والهولنديين والانجليز والفرنسيين . واذا كنا نحرص على تقديم صفحات مما كتبه هؤلاء الرحالة القدماء الذين تعتبر كتبهم وحتى الان المراجع الرئيسية لعملية التأريخ فاننا نهدف الى ان نضع ما كتبه هؤلاء مباشرة امام عين القارئ دون معالجة ودون تعليق ليستنبط الباحث لنفسه ما يراه ولنقدم صورة دقيقة لاسلوب كتابة هؤلاء الرحالة بمنظارهم هم وبالمؤثرات التي خضعوا لها عندما كتبوا ما كتبوه . ولنثير شهية باحثينا الشباب للتعليق والتصحيح وشدهم الى نوع من البحث منطقتنا احوج ما تكون اليه وهى تعيد كتابة تاريخها على اسس موضوعية وصادقة ومن بين هؤلاء الرحالة الذين نعرض لصفحات من كتبهم الرحالة نيبور الذى نطالع اسمه فى مراجع وهو امش اى كتاب يكتب عن الشرق فمن هو نيبور ؟

اسمه كارستن نيبور وهو رحالة المانى عاش بين سنة ١٧٣٣ و ١٨١٥ م . وقد ولد فى هانوفر سنة ١٧٣٣ م واشتغل فلاحا فى بداية شبابه وتعلم المساحة وانضم فى سنة ١٧٦٠م الى الحملة الاستكشافية التى نظمها الملك فريدريك الخامس ملك الدنمارك الى كل من الجزيرة العربية وسوريا ومصر وذلك لينقلوا له صورة دقيقة للحياة فى هذه المناطق .

وقد ادى نيبور مهمته على خير وجه وضمنها عدة كتب منها الكتاب الذى ننقل منه هذه الصفحات عن الانجليزية . ثم رجع الى وطنه عام ١٧٦٧ م بعد ٧ سنوات قضاها متجولا فى الشرق وتوفى بملدورف «هولستائن» فى ٢٩ ابريل ١٨١٥ . ونيبور كان العضو الوحيد من اعضاء البعثة الذى بقى حيا فقد لقي الآخرون حتفهم . وقد طار صيت نيبور بين المؤرخين والعلماء ومازال وقد سجل نيبور مشاهداته فى «وصف للجزيرة العربية» و .. الاسفار فى الجزيرة العربية» وقد حوى كتاب الاسفار الذى ننقل عنه هذه الصفحات مجموعة من الصور بريشة احد زملاء نيبور فى الرحلة هو باورن فيزر سوف نعرض لبعضها اثناء عرض هذه الصفحات .

مثل سكان الجزيرة العربية تماما . ويقال ان العرب استوطنوا هذه المناطق الساحلية منذ قرون عديدة وهناك مؤشرات تدل على وجود هذه المستوطنات العربية منذ ايام اول الملوك الايرانيين كما يوجد تشابه كبير بين حياة السكان القدماء للمنطقة وحياة العرب المعاصرين .

والعرب فى المنطقة عامة يمارسون الملاحة البحرية وصيد السمك وصيد

يقول نيبور : يخطئ بعض الجغرافيين اذا اعتبروا ان جزءا من السواحل العربية كان خاضعا للملوك العجم بل العكس هو الصحيح فقد ملك العرب المناطق الساحلية بالخليج من نهر الفرات الى نهر الاندوس باكملة .

وقد كانت المستوطنات فى هذه المنطقة الكبيرة مستوطنات عربية يستخدم فيها الناس اللغة العربية والتقاليد العربية

اللؤلؤ ويأكلون السمك والتمر وتأكل مواشيهم الاسماك ولكل مدينة شيخ وهو ان لم يكن غنيا فانه يلجأ الى شحن البضائع او صيد السمك كالاخرين . وتشمل الاسلحة التروس والسيوف وهم يستخدمون مراكبهم العادية كسفن حربية عند الضرورة ولكنها لا تكون قادرة على القيام بمهام كبيرة في الحرب وذلك بسبب الحاجة الى الطعام والماء في فترات قصيرة . مما يجعل مطاردة العدو امرا صعبا ومما يفوت عليها فرص المطاردة السريعة والفعالة وليست حروبهم الا سلسلة من الصراعات والغارات دون نتائج حاسمة .

اما المخيمات التى يقيمون فيها فهى بسيطة للغاية وليس فيها ما يدعو العدو الى هدمها . والعرب يلجأون لذلك حتى يسهل عليهم عند الشعور بأى خطر ترك المخيمات والانتقال بواسطة مراكبهم الى مخابأ امين باحدى الجزر حتى يزول الخطر ثم يعودون .

بعض ولايات الساحل الفارسي

كانت جمبرون ميناء في ولاية لارستان وقد حكمها الملوك الايرانيون وبعد وفاة نادر شاه حكمها ناصر خان وهو ايرانى الاصل واعلن ولاءه لكريم خان والى شيراز ولكنه لم يدفع له اى خراج كما انه تعود الا يبدي احترامه له الا اذا حشد كريم خان قواته لتأديبه . وتدعى

جمبرون «بندر عباس» وقد ذاع صيتها في القرن الماضى وبداية القرن الحالى كميناء لشيراز ولسائر جنوب ايران وكانت تجارتها في تلك الفترة مزدهرة لكنها الآن كاسدة جدا الدرجة انه لا يوجد مكتب تجارى اوروبى فيها . ويرجع سبب ذلك الى الاضطرابات الداخلية في ايران والى الحرب بين الانجليز والفرنسيين . وقد مارس الهولنديون التجارة على مستوى متواضع لفترة لكنهم غادروا بندر عباس الى خرج ولم يبق لهم شئ في جمبرون .

وقد فارق المجد القديم هرمز الان ويحكمها ملا على شاه الذى تولى الحكم عقب وفاة نادر شاه . والمعروف ان ملا على شاه كان القائد البحري الايراني . ويملك حاكم هرمز جزءا من جزيرة قشم ايضا بينما الجزء الاخرى ملكه حاكم سير وتقع مدينة او ميناء (سير) في لارستان على بعد ٦ فراسخ من الشاطئ وسكانها يمارسون الزراعة ويعترفون بسلطة خان لارستان عليهم . ويعيش البلوش وهم قبيلة عربية بين ميناء وخليج جشك وهم يملكون عددا كبيرا من المراكب ويمارسون التجارة مع البصرة وحتى المنطقة الساحلية الهندية وقد تحالفوا مع الافغان في حركاتهم ضد ايران ويقول بعض علماء الجغرافيا ان قبيلة البلوش تعيش في سائر انحاء الساحل الايراني وحتى مصب نهر الاندوس . وهى قبيلة

مقاتلة مولعة بالحرب وتمارس القرصنة .
وغالبا لا تعترف القبيلة بأى سلطة
خارجية غير سلطة شيوخها . وحكى
بعض السياح ما حدث فى القرن الاخير
عندما قام حاكم جشك بمقاومة قوات
الشاه عباس بشجاعة كبيرة حتى وقع
اسيرا بالخدعة ولكن ارملة استمرت فى
المقاومة ضد شاه ايران وسجلت بطولات
نادرة فى المعركة وربما تتعلق هذه
المغامرات بأحد شيوخ البلوش .

والارض الواقعة بين بندر عباس ودلم
شمالا تشبه تهامة فى الجزيرة العربية
وهى ارض قاحلة ويسميتها الايرانيون
«كرم سير» اى البلد الحار وليست هناك
اماكن مأهولة فيما عدا مكان يسمى
«خمير» وهو عبارة عن قصر فوق احدى
الصخور يملكه احد الشيوخ ويكثر فيه
الكبريت الذى تأتى السفن لاخذ كميات
منه .

أراضي قبيلة الهولة

تسيطر قبيلة الهولة على السواحل من
بندر عباس الى رأس يردستان وتملك
جميع الموانى فيها . وتمتد جبال
ظهرستان الى البحر ويتوافر فيها
الخشب الذى يقوم الناس بتصديره
وعلى الرغم من هذه الميزات
فان عرب الهولة لا يمارسون
الزراعة بل يعيشون على الصيد وهم
من أهل السنة وقد اشتهروا
بالشجاعة لدى جيرانهم . وهم اذا

اتحدوا فان بأماكنهم الاستيلاء على كل
المنطقة لكنهم منقسمون على انفسهم
ويرأس كل مدينة شيخ ولكن ليس هناك
من يستطيع جمع كلمتهم وتوحيد
صفوفهم وتنسيق جهودهم . وهكذا
يظلون فقراء ضعفاء .

وفيما يلي تفاصيل عن الشيوخ والامراء من قبيلة الهولة .

«شيخ سير» يملك هذا الشيخ ايضا
المدن الاتية بالقرب من جمبرون : كنج
ولنجه ورأس حطى . ويقوم سكان سير
بتصدير الخشب والفحم كوقود .

شيوخ مخا وخرک : يقوم سكانهما
ايضا بتصدير الخشب وهم اشجع
الرجال بين الهولة .

شيوخ نخلو ونابند وآلو وطاهرى
وشيلو وكونكون ويعتبر سكان نخلو من
امهر الغواصين كما يعرف سكان كونكون
بحبهم للأمن والسلام ويعيش بينهم
بعض اليهود والتجار الهنود ويعيش
الايرانيون فى المنطقة بين بوشهر ورأس
يردستان و لا يملكون السفن ويهتمون
بتربية الدواجن .

مشيختا بوشهر وبندرريق

بوشهرهى عاصمة الولاية التى تحمل
نفس الاسم وبها ميناء واسع وتستطيع
السفن الاقتراب حتى البيوت نفسها .
لذلك اختارها نادر شاه مركزا لأسطوله
البحرى . وتبقى بعض اثاره حتى الان .

وقد أصبحت هذه المدينة شهيرة أيام نادر شاه اما الان فهي ميناء لشيراز وللانجليز لانهم الوحيدون بين الدول الاوروبية الذين يمارسون التجارة مع ايران . والعرب الذين يسكنون بوشهر ليسوا من الهولة ومن بينهم ثلاث عائلات بارزة . اثنتان منهما من ابناء البلاد منذ القدم والثالثة (المطاريش) جاءت من عمان وبالتعاون مع العائلتين الاخريين نالت مكان قياديا منذ سنوات عديدة وينتمى الشيخ الحالى(ناصر) الى عائلة المطاريش وله نفوذ على البحرين ايضا ولديه بعض السفن كما يملك بعض الامتيازات في «كرم سير» التى يملكها نيابة عن كريم خان ويحتجز كريم خان ابناء ناصر لديه كرهائن ليضمن ولاءه له . وهكذا تضمن شيراز بقاء حاكم بوشهر وفيا لمصالح ايران بواسطة مراقبة ممتلكاته في «كرم سير» .

وكان الشيخ ناصر حريصا على تعيينه قائدا بحريا للأسطول الايرانى ولكن ذلك سبب له ولعائلته بعض الاضرار لان الناس يكرهونه ولا يعتبرونه من الاشراف العرب .

وتقع بندرريق في شمال بوشهر وهى مدينة حولها سور وتشمل حدودها بعض المساحات «لكرم سير» ولذا يعتمد شيخها الى حد ما على كريم خان . ويمارس سكان هذه المشيخة الملاحة كما يهتم الايرانيون منهم بتربية الدواجن .

وتنحدر الاسرة المالكة لبندرريق من قبيلة بنى كعب العربية وهم فى الاصل من عمان . والامير الحاكم فى بندرريق (مير مهنا) معروف بالقسوة والظلم والاستبداد . ويقال انه امر خدمه بقتل ابيه فى حضوره لانه كان يحب اخاه الاكبر . ثم قتل امه لانها لامته على قتل ابيه وقتل بعد ذلك اخاه و١٦ من اقاربه لكى يطمئن ان لا احد سوف ينافسه على العرش . وقتل اختيه لأن احد الامراء اقترح الزواج من احدهما وتخلى عن بناته بتركهن فى العراق . وكان هذا الوحش الادمى قد فعل كل ذلك وهو لم يبلغ بعد سن الثلاثين وذلك فى سنة ١٧٦٥ م . وقد وقع «ميرمهنا» اسيرا فى ايدى كريم خان ولكنه تمكن من الفرار عندما هزم والى ايران فى احدى المعارك ولكنه قبض عليه مرة اخرى ليطلق سراحه بناء على توصية احدى اخواته التى كانت متزوجة من ضابط ايرانى . وعندما عاد الى ارضه واصل نهب القوافل التى كانت تمر بين شيراز وبوشهر كما قام باعمال القرصنة وحاول كريم خان محاصرته ليعاقبه لكنه لم ينجح . وفى عام ١٧٦٥ بعث كريم خان بمبعوثه الى ميرمهنا ليطلب منه الخراج المستحق لامتيازاته فى كرم سير لكن المبعوث تعرض للتعذيب وامر مهنا بخلق لحيته . فقام كريم خان بغزو بندرريق واستولى عليها الا ان ميرمهنا تركها فى



○ أحد اليمانيين بملابسه القومية كما رسمه باورن مرافق نيبور .

الوقت المناسب مع جنوده الى جزيرة
خسرج حيث بقى هناك مدة الى ان
انسحب الجيش الايرانى من بندرريق
فعاد اليها وتولى حكمها مرة اخرى بعد
ان اخرج منها الحامية الايرانية .

وقد لجأ هذا الطاغية الى الافراط في
شرب الخمر وبدأ يمارس الظلم
والاستبداد حتى ضد جنوده انفسهم
وقطع انوف واذان بعض الضباط ورغم
ذلك بقى الجنود مخلصين له واستعادوا
جزيرة خرج من الهولنديين وهو لا يزال في
المنفى .

قبيلة كعب وشيخهم سليمان

تسكن قبيلة كعب في اقصى جانب
للخليج ولم تكن لها اية اهمية حتى تولى
الشيخ سليمان الحكم وذاع صيته حتى
وصل الى اوروبا لانه تعرض للانجليز
واستولى على بعض سفنهم .

وقد استغل الشيخ سليمان انغماس
ايران في مشاكلها الداخلية وضعف
حكومة البصرة وبسط سيطرته على جميع
المناطق المجاورة له في ايران . ووعد بدفع
الخراج الى «خان» الذى كان يطمع في
تولى العرش على ذلك الجزء من
الامبراطورية ولم يحاول احد منهم جمع
الخراج ما عدا كريم خان الذى اكتفى
بمبلغ ضئيل حصل عليه . واستمر
الشيخ سليمان يوسع فتوحاته نحو
البصرة وحصل على دعم وصداقة سكان

منطقة «أجل» وأصبح مالكا لجميع الجزر
في مصب نهر الفرات (شط العرب) وعقب
احتلال الشيخ سليمان لشط العرب حاول
بناء اسطول بحرى وبنى اول سفينة في
سنة ١٧٥٨ وازداد عدد السفن في سنة
١٧٦٥ الى عشر سفن كبيرة وسبع سفن
صغيرة .

وقد ارسل كريم خان في نفس العام اى
١٧٦٥ قوة كبيرة ضد الشيخ سليمان
ولكن الشيخ انسحب بأمواله وجنوده الى
غرب شط العرب ووجد الجيش الايرانى
ان مطاردته امر صعب لعدم وجود
السفن الكافية فاضطر الى الانصراف .
ثم امر باشا بغداد قواته بمهاجمة الشيخ
سليمان لكنه اتبع نفس الحيلة التى
استخدمها مع الايرانيين ونجا من
مطاردة الاتراك بنفس الاسلوب .
واراضى قبيلة كعب تمتد من صحراء
الجزيرة العربية الى هنديان وفي الشمال
الى دويلة الحويزه وتقع فيها انهار كبيرة
وصغيرة وتكثر فيها التمور والارز
والحبوب والاعلاف ومدنها الرئيسية هى
دامك على حدود ايران وحاسر وغبن وهى
مقر الشيخ وتقع بالقرب من مصب
الفرات .

دويلات مستقلة اخرى

● «هنديان» وتقع في شمال بندرريق على
حدود اراضى قبيلة كعب وهى ولاية
صغيرة وتخضع لحاكم مطلق . والعرب

الذين يعيشون فيها يمارسون الزراعة وتربية الماشية .

● «الحويزه» وتقع على حدود الخليج في المناطق الداخلية ويحكمها حاكم باسم المولى وهو من آل البيت ويصدر العملة باسمه وتوجد جزر عديدة على الساحل الشرقى للخليج معظمها مأهولة وتشتهر من بينها هرمز فقط كدويلة مستقلة اما الجزر الباقية فتخضع لأقرب حاكم على البر الرئيسى حسب موقعها .

ومن الخليج ينتقل نيبور الى تركيا والشام ومصر ويواصل جولاته في مختلف انحاء الشرق الاوسط ليقدم لنا صورة لشاهد عيان عن احوال الناس وعاداتهم وازيائهم . فيقول :

ان الملابس التى يرتديها الاتراك غالية جدا حتى بالنسبة لعامة الناس وهى ملابس غير مريحة خاصة اثناء العمل . فيلبس الرجل العادى نوعا من السراويل الضيقة مع قميص . ويلبس الفلاح القميص والسروال الداخلى فقط . ويحمل الاتراك معهم اثناء السفر حقيبة زرقاء يضعون فيها ثيابهم الطويلة . وهم يربطون ارجلهم بلفات من الاربطة ويرتدون احذية واسعة وعلى الرغم من ان هذا الزى غير مريح الا انه يسبب الدفاء .

ويلبس المسيحيون في الشرق ملابس

كالاتراك الا انهم يفضلون الالوان الزاهية والاحذية المصنوعة من جلد اصفر ويصبغون منازلهم بالوان قاتمة . ويسمح للنصارى من الاوروبيين باستعمال الجلد الاصفر وجميع الوان الملابس فيما عدا اللون الاخضر اذ انه مخصص للمسلمين .

ويحلق الشرقيون عامة شعرهم ولا يتركون على رؤوسهم الا خصلة صغيرة وذلك لا ينطبق على بعض رجال الدين المسلمين .. وقد لاقى هذا التقليد نقدا بين بعض الناس في اوروبا لانهم يعتقدون ان حلق الرأس يؤدى لانتشار الاصابة بمرض السكتة بين الجيل الجديد وهذا لا يسرى على الاتراك الذين يغطون رؤوسهم وبذلك يحافظون على صحتهم بصورة افضل منا . ويبدو انهم يغطون رؤوسهم التماسا للدفاء وان كانت هذه الاغطية تبدولنا - كأوروبيين - حارة وغير مريحة في الصيف . وهم لا يرفعون اغطية رؤوسهم تحية للآخرين كما تعودنا على ذلك ويعتبرون التقاليد الاوروبية بهذا الخصوص مضحكة وسخيفة للغاية .. والشرقيون يستعملون انواعا شتى من اغطية الرأس وهذا يخالف الفكرة السائدة التى تقول انهم لا يختلفون في لبسهم . والتباين في اغطية الرأس لا



○ احدى السيدات وجاريتها في أحد البساتين عام ١٧٦٠م .

بعض الاوروبيين وحتى القديسين وغيرهم عدا الرهبان الكبوشيين اذ يرتدى هؤلاء الرهبان ازياء ممزقة وقذرة مما يكرهه المسلمون لان المسلمين يعتبرون النظافة جزءا من الايمان .

ازياء النساء :

يجد السياح صعوبة في التعرف على ازياء النساء لان الاجانب لا يسمح لهم بالدخول الى حرمة بيوت المسلمين ولذلك يصعب عليهم التعرف على ازيائهن الا اذا خرجن للشارع . ولا يحب المسلمون ان ينظر احد الى نسائهم في الشوارع نظرة فاحصة .

وعلى العموم فالمرأة تلبس رداء داخل رداء مما يجعل من الصعب على الناظر ان يعرف تفاصيل الزى او ترتيب اللبس لكل قطعة من الزى . وعندما تخرج نساء القسطنطينية الى الشارع يلبسن الكتان الابيض بكثرة ولا يرى من المرأة الا عينيها فقط وتظهر كالمومياء المتحركة . وفي القاهرة تخفى النساء رؤوسهن بمنديل اسود كما يلبسن قطعة كتان واسعة حول صدورهن وهن يخلعنها عندما يدخلن بيوت صديقاتهن . ولم تتح لى الفرصة قط لأرى امرأة من طبقة ممتازة لذلك لا يسعنى الا ان ادعو القارىء الى مراسلة مدام مارى وورتلى حول الموضوع فقد زارت النساء الشرقيات من كل الطبقات داخل بيوتهن

علاقة له بالازياء بل هو دليل على طبقاتهم ومهنتهم وحرفهم اما الخدم فيلبسون زيا خاصا بهم . ويمكن لنا ان نعرف مهنة الشخص بمجرد النظر الى لبسه او غطاء رأسه . ويشير الاوروبيون الى كافة انواع اغطية الرأس على انها العمامة والعمامة لها ثلاثة اقسام .

اولها : العمامة العالية وهى ملفوفة حول قطعة نسيج رقيقة من القطن ويسمىها الاتراك (القلنسوة) او الـ (كاوك) .

والثانية : قلنسوة قطنية قصيرة ومنخفضة الجانب ويسمونها (ساش) وهى عمامة عربية وقد نقل هذا الطراز من العمامة الى انحاء اخرى من اسيا وباشكال مختلفة .

والثالثة : كالثانية الا انه معلق بجانبها قطعة من جلد الحمل او القرد بدلا من قطعة القطن ويسمونها (كلباك) واصلها تترى ويلبسها النصارى الشرقيون .

ويلبس الرجال البارزون في تركيا (الكوك) وهو من قماش اصفر مع قطعة من نسيج قطنى رقيق . ويرتدى الاشراف وهم من نسل الرسول قطعة خضراء حول العمامة وهم لا يتولون الوظائف العامة ويلبس القبط والنصارى قطعة من القماش القطنى مخططة بالازرق والابيض حول (الكوك) الذى يصنع من نسيج احمر .. ويقلدهم في ذلك

وشاهدت تفاصيل ملابسهن بدقة ومع انه يقال انها تبالغ في وصف المرأة الشرقية وجمالها وروعته وحسن اخلاقها لكنى اعتقد انها على حق لانها اهتمت بمحاسن هؤلاء النساء بينما غيرها من السياح الاخرين لم يهتموا الا بعيوبهن . وما اذكره هنا فقط هو عن ملابس النساء من الطبقات الفقيرة .

تلبس النساء في الشرق السراويل التحتية ولا تلبس النساء من الطبقات الفقيرة الا قميصا طويلا من اللون الازرق وهن بذلك يعتبرن شبه عاريات الا انهن جميعا يلبسن الحجاب ودون استثناء ويبدون ان الحجاب يشكل اهم جزء من ملابس النساء اللائى يحرصن على تغطية وجوههن .

والحجاب عبارة عن قطعة من الكتان مثلثة الشكل مثبتة فوق الرأس وتغطي الوجه دون العينين والنساء في بعض الولايات وخاصة في سوريا يلبسن نوعا من القبعات البيضاء اللون مخروطية او عرضية او ذات اشكال غريبة اخرى . اما العربيات في مصر خاصة في منطقة الصحراء فيلبسن حليا غريبة كالحلقات المعدنية الكبيرة في الاذنين او الانف او الارجل او يلبسن سوارا وخاتما من الخواتم الرخيصة . ويعلقن قطع المرجان على جباههن وفي بعض الاحيان تعلق الفتيات اجراسا صغيرة على خصلات الشعر . او في الاقدام وتزين بعض

النساء انفسهن بعلامات زرقاء من الوشم على خدودهن او ذقونهن وبعضهن يصبغن ايديهن بلون أصفر واطفاهن بلون احمر لأنهن يعتبرن اختلاف الالوان وكثرتها رمزا للجمال والجاذبية . وملابس الاغريقيات لا تختلف عن ملابس التركيات ولان الاوروبيين يتزوجون اليونانيات في بعض الاحيان فان ذلك اتاح لنا الفرصة لرؤية ثيابهن واسلوب ارتدائهن للملابس . وهكذا تكونت لدينا فكرة عن ملابس المسلمات من الطبقة العليا .

الاغريقيات يلبسن السراويل الداخلية الطويلة التى تصل الى اقدمهن . وملابسهن تحت الخصر تشبه ملابس الرجال . والرجال والنساء على السواء يلبسون احذية واسعة تشبه الشباشب . وتلبس النساء فوق السراويل قميصا من كتان خفيف وفوقه صدرية مربوطة بحزام واسع . وفوق الصدرية سترة بكم قصير لا يزيد طوله على شبر واحد وتختلف اشكال اغطية الرأس اختلافا تاما . وتهتم الشرقيات بها اكثر من الاوربيات . بل ان بعضها اجمل من الاخرى التى تستخدم في اوروبا لانها اغلى ثمنا واروع في مظهرها الخارجى ويجب ان ننظر الى الجميلات الشرقيات وهن جالسات على الارائك لان مشيتهن ليست جميلة فقد تعودن على الجلوس القرفصاء وعلى ارتداء

اخلاق شعب ما وخاصة في الشرق لان اساليب التسلية فيه مرتبطة بتقاليدهم وطقوسهم القديمة ومعرفتنا بها توضح لنا معالم هذه الطقوس .

ان عادات الشرقيين تمتاز بنوع من الكآبة ويرجع سببها الى الطقس والتقاليد المتبعة فليس هناك حرية في الزيارات والاتصالات بين العائلات على المستوى الاجتماعي وتمنع الخشية من الحسد الاكثار من الدخول الى المنازل او الاكثار من الزيارات مما يخلق نوعا من التصلب في العلاقات الاجتماعية . والرجال عندما يعودون الى بيوتهم من العمل يلزمون الصمت لانه ليس لديهم موضوعات يحبون تبادل الرأي فيها مع نسائهم . وهكذا يصبح الصمت هو المزاج العادي . ولا يوجد نظام للتوظيف الا للقليلين وعامة الناس اكثرهم اميون ولا مجال لترقية الادب والفن مما قد يدخل الانشراح الى الصدور وهذا يؤدي الى الكآبة وهم قلقون دائما على اعمالهم وتجاراتهم مما لا يعطيهم الفرصة للتفكير في اللهو او اللعب .

وبالطبع تختلف فكرة اللهو لديهم عن الناس الاخرين الذين يتمتعون بفراغ طويل ويميل الرجال الى ارضاء نسائهم مهما كان الثمن . واذا كان المجتمع الاوروبي يركز على الجنس والنساء والهدوء التام في الحياة اليومية الا ان الامر في الشرق على العكس من ذلك

الشباب الواسعة المصنوعة من الجلد الخفيف مما جعل مشيتهن تنقصها الرشاقة . وترتدى النساء الاوروبيات اللأى يعشن في تركيا احذية عادية مهما كان نوع ثيابهن وحتى اذا لبسن ملابس الشرقيات . ودن السهل علينا ان نعرف من مشية المرأة الشرقية ما اذا كانت معتادة على الجلوس القرفصاء او على الكراسى . وكثيرا ما تملك النساء في القسطنطينية العربات ولكنهن لا يستخدمنها . والعربات التركية تشبه عرباتنا من الخارج الا انها تنقصها الابواب كما تنقصها النوافذ الزجاجية وتوجد بها نوافذ خشبية . ويتم الدخول الى العربة من الخلف عن طريق سلم يصنع لهذا الغرض . وفي داخل العربة توجد سجادة بدلا من المقاعد ويجلس الاتراك على هذه السجادة .

اما في القاهرة فلا توجد اى عربات وتركب النساء سواء كن غنيات او فقيرات الحمير ويسمح للزوجات اليهوديات والنصرانيات بمواصلة الركوب عند المرور بالاعيان المصريين على سبيل احترام النساء .

اللهو والتسلية عند الشرقيين .

رغم ان موضوع اللهو والتسلية لدى بعض الناس موضوع تافه الا انه يشير الى مسيرة اى شعب واخلاقه ولا يجوز غض النظر عنه اذا اردنا ان ندرس

فأساليب اللهوتصطبغ بصبغة اجتماعية أكثر رجولية . وأنواع التسلية لدى الشرقيين البسطاء بسيطة وغير شائقة اذ يبقى الرجال فى المساء مع نسائهم داخل البيوت ولا نعرف على وجه التحديد ماذا يحدث فى الداخل . فالمرأة الشرقية فى الغالب جاهلة وهى ليست سوى طفلة كبيرة وقد تكون الالعب فى جناح النساء العبا صبيانية للغاية وقد سمعت كلاما يؤكد هذا الرأى .

والعثمانلية او الاتراك من الطبقة العليا يمارسون تقاليدهم العسكرية القديمة وهم يحبون العاب الفروسية ويجتمع الاعيان فى القاهرة مرتين فى العام فى ميدان واسع ومعهم الخيول ويجرى سباق الخيل بينهم بأشكال مختلفة كان يركبوا الخيل دون ركاب أو يتباروا فى رمى رماح طولها اربعة اقدم وغيرها من الالعب . ويجب على اللاعب ان يكون حذرا حتى لا يصاب بجراح خطيرة اما اللعبة الشعبية فهى الرماية وينال الرامى البارع تقدير الشعب حتى انهم يرفعون اعمدة وأقواسا تذكارية له .

واثناء فيضان النيل فى القاهرة يخرج الناس فى مراكبهم الصغيرة ويتمتعون بعزف الموسيقى والالعب النارية بالفرقعات التى تقام بهذه المناسبة وقد اخبرنى رجل من طرابلس بأن الباشا رفع سقالتين عاليتين فى المدينة ووضع عليهما سفينتين صغيرتين مزودتين بالمدافع

الصغيرة . وقام فريقان بتمثيل حرب بحرية بين السفينتين . والسفينة التى اصببت بأضرار بليغة اعتبرت مهزومة . ولكن هذه اللعبة الغيت بعد قليل لانها ادت الى بروز خلافات شديدة بين المتنافسين .

ويمارس الخدم فى مصر الرياضة البدنية بالمشى او برمى رماح طولها بين ٤ و٥ اقدم كتمرين لرمى الرماح من على ظهر الحصان او استخدام الهراوة او المصارعة ويلبس المصارعون وسادة على الزراع اليسرى كترس اما فى الريف فيلعب الشباب كما فى اوربا بالجرى والقفز او الكرة ورمى الحجارة فى الهواء وتلقيها مرة اخرى فى يد واحدة دون ان تسقط على الارض . ومن الطبيعى للناس الذين يعيشون منعزلين عن المجتمع ان يفرحوا بمناسبات الاعياد وتستقبل هذه الاعياد فى مصر بحفاوة بالغة خاصة عند مغادرة الحجاج الى مكة او عند تأسيس مسجد جديد اذ تسير مسيرات شعبية ويجتمع الناس فى الميدان المتصل بالمسجد الجديد . ويحتفل كل من المسلمين والقطب بأعيادهم الخاصة ويشارك كل الناس فى الافراح . ويتم الاحتفال بالاعياد فى بعض الاحيان ليلا ويتم اضاءة الشوارع فى هذه المناسبة بواسطة الاخشاب وتضاء ايضا عدة مشاعل خشبية وترفع على اعمدة ويفرح الناس اثناء النهار بالمراجيح وغيرها من



○ فارس عربى يحمل رمحه الطويل فى احدى مباريات الفروسية .

نهر الفرات في موسم الشتاء وقد اضطر رواد السفينة الى النزول للماء البارد لمعالجة المركب فأعطيت لهم بعض التبغ للتدفئة فرحبوا به لان الخمر ممنوعة عليهم .

الألعاب في الشرق :

يمنع القرآن القمار فلذلك لا يشارك الشرقيون في ألعاب القرعة او اليانصيب . وهكذا يتجنب المسلمون هذه الألعاب المذمومة التي يلعبها الاوروبيون . ويقولون ان هذه الألعاب تفسد قلب الانسان وتثير شهواته وتقضى على قدراته البناءة وتجعله شخصا تافها .

ورغم ذلك فقد رأيت بعض المسلمين يلجأون الى هذه الألعاب تحت تأثير الاوروبيين وخاصة عندما لا تكون معهم نساؤهم . وهم لا يعرفون لعبة الورق ولكن رأيت اربعة من التجار العرب في بومباي وهم يلعبون لعبة الورق الصينية ذات الاوراق كبيرة الحجم . وصدفة فاجأت عددا من الشبان المسلمين وهم يلعبون الورق فظهر عليهم الخوف وارتاح بالهم عندما علموا اننى رجل اوروبى . وهم يقلدون اليونانيين في لعبهم ويلعبون الورق بمهارة .

والشرقيون يلعبون ألعابا اخرى لا تتطلب الحركة وتقتضى الجلوس فقط في

المظاهر المألوفة . ويقضى الناس عامة في كل من سوريا ومصر والجزيرة العربية معظم وقتهم في المقاهى حيث تعزف الموسيقى وتقدم الاغانى وتروى عليهم القصص والحكايات ويلزم الشرقيون في هذه الاماكن الصمت التام ويسهرون ساعات طويلة دون ان يتفوهوا بكلمة واحدة بل انهم يفضلون التدخين على الكلام وقد يكون التدخين اصدق مظهر لما يشعرون به في قلوبهم . وهم يستخدمون التبغ بدلا من الافيون او الخمر لان الخمر من المنكرات عندهم .

وهناك انواع عدة لغلايين التدخين منها ما هو مصنوع من الطين المحروق ويستخدمها الفقراء ومنها ما هو مصنوع من مواد غالية وهى مزخرفة ويستعملها الاغنياء بعد وضع قطعة قماش رطبة على قمها لتلطيف الدخان في الصيف . ومعظم الناس في آسيا يستعملون الشيشة الايرانية او النارجيلة وهى عبارة عن ثمرة جوزهند ممتلئة لنصفها بالماء ولها انبوبتان احدهما متصلة بالدخان وفوقه النار والاخرى في فم المدخن . والمعروف ان كريم خان وهو حاكم جنوب ايران حاليا مولع بالشيشة وربما كان ذلك هو السبب في ان التجار يطلقون على الشيشة اسم (كريم خان) والتدخين بالغليون الايراني ينعش المدخن ويدفئه فالدخان يدخل الى الرئتين ومنهما تصل الحرارة لباقي اجزاء الجسم .. وقد قمت بزيارة

مكان واحد مثل الشطرنج والنرد ويلعبونها يوما بعد يوم دون توقف مع ان زملاءهم يعتبرونهم اغبياء .

ويستخدم هؤلاء اللاعبون قطعة من القماش مخيطة بخيوط ملونة بدلا من اللوحة الخشبية لتسجيل النقاط . وبعد انتهاء اللعبة يلفون قطعة القماش وفيها الزد كله وهناك لعبة اخرى تستخدم فيها لوحة خشبية وعليها شكلان مربعان منقسمان الى خطين قطريين وتنقل عليها صدفات او احجار ملونة وقد انتقلت هذه اللعبة الى اوربا ويلعبها الاوروبيون ببذور بيضاء وسوداء . كما توجد هناك ألعاب كثيرة اخرى لكنها بسيطة مثل مانكالى او تابوك دوك وتشبه هذه اللعبة لعبة الطاولة وتستخدم فيها ٤ قضبان بيضاء وسوداء تنقل من مربع الى مربع على اللوحة .

وهناك لعبة قديمة اخرى رائجة بين الشرقيين ويسمونها العرب (لال الكعب) وتستخدم فيها قطع صغيرة من عظام الخروف او الماعز وقطع العظام المستخدمة لها ارقام رمزية ونجد تفاصيل هذه اللعبة في الكتب اليونانية واللاتينية القديمة وربما كانت مصدر لعبة زهر الطاولة .

الموسيقى في الشرق

يعتبر العرب والأتراك من الطبقة العليا تعلم الموسيقى امرا غير

مشرف ويبدو انهم ينقصهم الاحساس بالموسيقى وهم لا يقدرونها حق التقدير بل ينظرون للفن بكراهية وحتى الاساتذة من بينهم يبدون احتقارهم للموسيقى والموسيقيين وليس بغريب ان الموسيقار هنا لا يحترم وكسبه محدود جدا .

والموسيقى الشرقية تعرضت للاهمال وتختلف صيغتها عن الموسيقى الغربية وتمتاز ببساطة ورزانة دون تعقيد في طبقات الصوت او تغييرها ويضطر الموسيقار ان يغنى على مهل حتى يفهم المستمع الكلمات والتعبيرات بسهولة وقد اتيح لى ان استمع لتلاوة القرآن من احد الشيوخ وكان يقرأ بأسلوب رشيق وكان لنغمة التلاوة جاذبية فوق العادة مع تأثير عميق للكلمات . وعندما قمت باسفارى عبر النيل شاركت الملاحين في ترديد اغاني الحب والغرام وكانت الكلمات تشبه الحببية بالخياره وتشبه عيونها بعيون الغزال كما تشيد بجمال يديها الصفراوين واظافرها الحمراء . وكان الكورس ممتعا للغاية .

ويحفظ الناس كلمات الاغنية عن ظهر قلب ولا يغنون الاناشيد بنوثة موسيقية بل من حيث تأثيرها على الاذن وعندما كنت في بعض الولايات التركية علمت عن وجود بعض المغنين الكبار في دمشق يستخدمون علامات سرية ليتذكروا الالحان الموسيقية وعندما رجعت الى دمشق فتشت عن هؤلاء المغنين الا اننى

لم اجد احدا او حتى شخصا واحدا يعرف النوتة الموسيقية مع ان الدراويش من طائفة الميرلاوى التركية مشهورون بمهارتهم فى الموسيقى .

وقد ساعدت فى ترتيب اقامة حفلات موسيقية فى كل من بغداد والقسطنطينية وبالرغم من انها لم تكن على مستوى الحفلات الاوروبية الا انها كانت ممتعة ومشوقة للناس الذين لم تكن لديهم مهارات موسيقية فنية . ومما سبب لى بعض الازعاج تكرار اللحن عدة مرات بصوت عميق وجهورى بعد عزف الالات الموسيقية بالانسجام والتنسيق فى البداية واستمرار التكرار دون توقف .

ان الموسيقى الشرقى لا يعجب الاوروبى كما لا يعجب الموسيقى الاوروبى الشرقيين وقد عزفت انا وزميلي المستر باورن فيزر الكمان امام العرب المثقفين الذين جاءوا لزيارتنا ومع انهم لم يعبروا عن استيائهم للموسيقى الغربية مباشرة الا اننا احسنا انهم يفضلون الموسيقى الشرقية . ويعتبرونها اكثر حيوية ورجولة وذات ليلة شاركنا فى حفلة موسيقية فى القاهرة مع بعض التجار الانجليز وعزفنا على الكمان وعند العودة الى منزلنا سمعنا اغنية يغنيها احد المطربين على الفلاوت وقد تأثر بها احد خدمنا الذى اعرب عن اعجابه بها بصوت عال قائلا : الله اكبر .. ما اجملها بارك الله فيك» ودهشنا وسألناه كيف وجدت

عزفنا فقال : ان موسيقاكم وحشة وغير سليمة ولا يمكن لرجل مثقف ان يتمتع بها .

وتكوين الالات الموسيقية الشرقية بسيط ويرجع تاريخها الى زمن قديم ولم يجر عليها اى تعديل يذكر عبر القرون ويستخدمها الناس فى جزر الارخبيل ايضا وهى ثلاثة انواع ومنها الات ذات ٣ او ٤ اوتار يسميها اليونانيون «اسيتالى» و«سمارى» و«بكلاما» على التوالى ويسميها العرب «الطنبورة» وهو اسم يطلق على كافة الالات الوترية ويستخدم اليونانيون آلة موسيقية على شكل قوس بثلاثة اوتار ويعزفون عليها بمضرب خشبى عليه اوتار من شعر الخيل ويسميها العرب «الليرا» او «كوكبة القيثارة» وتعزف الالات الموسيقية عندما يغنى الموسيقار بصوته وبعض الالات الموسيقية يخص العرب وحدهم مثل الكمان الذى يتصل بطبل صغير ويصنع من قشرة جوزهند وتشد عليه اوتار ثلاثة من شعر الخيل وهى آلة قبيحة المنظر مثل القيثارة اليونانية ويعزف على الكمان المغنون الذين يرافقون الراقصات ويتجولون معهن وهناك آلة اخرى يستخدمها العرب يطلقون عليها اسم «معربة» وهى عبارة عن قطعة من الجلد مشدودة على قشرة جوزهند وعليها شعر خيل والكمان من هذا النوع يناسب الصيحة الحادة للمغنى الذى يغنى فى

المقاهى العامة وقد رأيت كما نانا فى البصرة له وتر واحد ومركب على قشرة جوز هند بأسلوب مألوف وفى بغداد رأيت امرأة تعزف على الطبلية بأسلوب أوربى كما رأيت امرأة أخرى فى الاسكندرية تعزف الطبلية بأظافر فضية .

والمصريون يحبون الآلات الموسيقية الصاخبة ولكن السكان فى جنوب افريقيا يفضلون الاصوات الناعمة وقد رأيت عند بربرى يسكن فى دونجولا نوعا من القيثارة له صوت لطيف وكانت مكونة من قطعة بيضاوية من الخشب مشدودا عليها قطعة من الجلد والاورتار متصلة بمقبض لشدها من اجل الحصول على النغم المطلوب وتعزف هذه الآلة بواسطة الاصابع او بقطعة من الجلد على شكل قوس وقام صديقى البربرى بالرقص اثناء عزفه عليها وقد وجدت تشابها بين هذه القيثارة وقيثارة داود ويسميتها البربر «كسر» ويسميتها العرب «الطمبورة» .

ومن بين الآلات الموسيقية اذكر الفلاوت التركية ويسمونها «السلمانى» ويعزفها الرعاة الاتراك وهى مفتوحة تماما دون قصب وعزفها صعب جدا وهذه الآلة محبوبة عند الدراويش الاتراك «الميرلاوى» وهم يعزفونها اثناء تأدية طقوسهم الدينية وهى مصنوعة من القصب أو من الخشب الخفيف . وقد رأيت فلاحا فى القاهرة عنده فلاوت

مصنوع من قطع القصب المختلفة . ويوجد كذلك فلاوت له انبوتان احدهما لنفخ الهواء والاخرى لاصدار صوت عال مستمر مثل مزمار القربة البلغارى . ويعرف مزمار القربة فى مصر باسم سمارى القربة لكنه ليس مثل المزمار البلغارى الذى يستخدم فى تركيا والذى يعزف الاصوات العالية . ومن المعروف ان الرعاة البلغاريين لديهم تذوق للموسيقى الاوروبية ويستخدم الاسيويون الطبول عند الرقص والغناء لتوفير الانسجام . وهناك طبول من انواع مختلفة مصنوعة من اخشاب دائرية واوان فخارية مغطاة بالجلد ويعزف عليها بالاصابع والدف يعتبر من اجمل الطبول ويعزف عليه اثناء رقص النساء فى جناحهن والصنج ايضا يعتبر من الآلات الموسيقية وتحمله الراقصات والمتسولون .

وقد بدأ الناس فى اوروبا يتعرفون على الموسيقى العسكرية التركية والموسيقى التى نسمعها فى الشرق مؤذية للاعصاب غير انها مرتبطة بالمناسبات والطبقات فالباشا الذى يلبس ٣ سترات تسبقه فرقة موسيقية مزودة بالآلات الموسيقية المتنوعة حسب التقاليد المتبعة وتعزف الفرقة نوتة موسيقية عسكرية خاصة حسب رتبة الشخص . والآلات الرئيسية التى تستخدم فى هذه المناسبات هى البوق ويسميه المصريون «السرمة»

والطبول التركية الكبيرة التى تثبت افقيا وتضرب على الوجهين والمزمار ذو الانبوبة المزدوجة واخيرا الصفائح المعدنية التى تستخدم لتنظيم الخطوات .

الرقص الشرقي

يعتبر المسلمون المحترمون الرقص شيئا يقلل من شأنهم في المجتمع بينما تمارسه الزوجات المسلمات دون تردد ويعتبرنه من واجباتهن لارضاء ازواجهن ، وترقص الزوجات في مناسبات مثل الزواج وبعض الاحتفالات .

وقد سمعت في طرابلس من يقول ان الرقص هو تسلية النساء في الاحتفالات واطن ان نفس الشيء يتبع في تركيا والجزيرة العربية وان كنت غير متأكد من ذلك . لانه من الصعب ان تقابل شاهد عيان لكيف تتسل النساء والمعلومات التى وفرها لى صديقى من طرابلس كانت قائمة على ما سمعه من زوجته ردا على الاسئلة التى وجهها اليها .

ولا تظهر النساء في المجالس الا اذا كن في قمة زينتهن وقد ارتدين الملابس الرائعة ، واذا اقيمت حفلة ما في منزل رجل ذى شأن تجمع حوالى ٥٠ امرأة كلهن في قمة زينتهن وتحضر النساء معهن اجمل جواريهن اللائى يحملن صناديق الملابس للسيدات . وبعد تقديم المشروبات للضيوف تأتى بعض البنات يغنين الاغاني ويعزفن على الآلات الموسيقية ، وترقص بعد ذلك ارشد

النساء من الضيوف ثم تدخل احدى الغرف حيث تنتظرها جواريهها فتبدل ملابسها ، وهي تخلع ملابسها كلية ما عدا غطاء الرأس والاساور وتخلع كذلك الشبشب المطرز بالخيوط الذهبية والفضية وبعد ان تبدل ملابسها تدخل الصالة مرة اخرى وتترك غرفة الملابس للسيدة التالية التى رقصت بعدها وهكذا تستمر الحفلة على هذا المنوال لدرجة ان بعضهن يغيرن ملابسهن عشر مرات في ليلة واحدة وتلبس المرأة في كل مرة رداء اجمل من سابقه بهدف جذب اعجاب المشاركين في الحفلة وتنتهى الحفلة كالمتعاد بكمية كبيرة من الحسد والحقد بين بعضهن البعض .

وقد نقلت الاغريقيات هذه العادة الشرقية وتبدل المرأة الاغريقية الملابس لاوهى الاسباب وقد قال لى صديق اوربي يقيم في القسطنطينية انه زار امرأة يونانية زوجة لأحد أصدقائه وقد غيرت ملابسها خمس مرات خلال ساعتين فقط وتشهد هذه الحقائق على ان النساء متشابهات في كل مكان بالعالم .

ولا يتبع الرجال هذه الطريقة ويقتصرون على رؤية الراقصات يرقصن اما في الملاهي او في المنازل في بعض المناسبات الخاصة . ولطبقه الراقصات اسماء خاصة في القسطنطينية والقاهرة وتنتمى الراقصات الى عائلات فقيرة وطبقة حقيرة ومنهن بنات متزوجات وغيرهن مازلن أنسات ويتم الزواج بين صفوف هذه الطبقة فقط . ورجال هذه

الحفلات بالتدريج لانه لم يكن لدينا بديل لها ولذلك اضطررنا الى اكتشاف الجمال والرشاقة في الراقصات . وان كان ذلك في الوهم . وتصورنا ان اصواتهن كانت مرضية وحركاتهن كانت متناسقة والموسيقى لا بأس بها رغم ان الواقع كان خلاف ذلك .

وليس هناك شيء غريب في ملابس الراقصات وعند الرقص يرفعن حجابهن ويتركنه متدليا على اكتافهن وتلبس الراقصة تنورة تحتية تصل الى الركبتين فقط ومفتوحة من الخلف ومثبتة بحزام واسع له زران كبيران ولا فرق في طراز الرقص سواء كان في دمشق او القاهرة وقد رسم المستر باورن لوحة لحفلة راقصة في القاهرة يظهر منها الرجل وهو يعزف الكمان والعجوز وهي تعزف على الطبل .

والرقص والموسيقى لدى المسيحيين الشرقيين يختلفان نوعا حسب تقاليد الشعوب التي ينتمون اليها . وقد رأيت في الموصل رقصا لليعقوبيين النسطوريين بمناسبة احد اعيادهم لكنهم لا يتقنون الرقص مثل اليونانيين وهم يرقصون في شكل دائرة وعلى رأسهم امرأة جميلة تقود الرقص . وعند البلغاريين الرقص الشرقي لكنه من مستوى اقل من الرقص اليوناني .

ومن الافضل للانسان ان يكيف نفسه طبقا للتقاليد والافكار السائدة في البلد الذي يعيش فيه لكن الاوربيين في القسطنطينية لا يؤمنون بهذا المبدأ

الطبقة عموما يمارسون مهنة البيطرى . ويرافق رجل واحد او عجوز الراقصات اثناء تجوالهن للاشراف عليهن ويعزف هذا الرجل او العجوز الكمان اثناء الرقص ومعظم هؤلاء الراقصات فاجرات ورغم ذلك فليس هناك اى مانع لاي شخص من ان يقيم حفل رقص في منزله مادام يستطيع دفع التكاليف المطلوبة للراقصات وليس لدى الراقصات مانع من زيارة اى مكان مادام يدفع لهن الاجر المعروف . لكن المسلم الاعزب لا يجرؤ على اقامة حفل راقص في منزله وبالنسبة للتجار الفرنسيين فهناك امر من ملك فرنسا بمنعهم من الزواج من اجنبيات . وفي البداية لم نر حفلا راقصا الا بالصدفة وكان ذلك في ناد خارج حدود المدينة ولكننا شاهدنا عددا من الحفلات في ختام اقامتنا في مصر ، والبيوت التي يقيم فيها الاوربيون تقع على جانبي القناة التي تمر في وسط القاهرة وتقام حفلات الرقص في مجرى القناة عندما تكون جافة قبل فتح السدود امام الفيضان وقد انتهزنا هذه الفرصة لرؤية رقصات لفرق مختلفة واحدة بعد الاخرى وقد كنا في غاية الحزن لمغادرتنا الوشيكة للقاهرة .

وفي البداية لم تعجبنا هذه الحفلات لان الموسيقى كانت سيئة وكانت الراقصات قبيحات المنظر بأياديهن الصفراء ووجوههن المنقطة وحليهن غير المناسبة ودهان الشعر الكريه الرائحة ولكننا تعودنا على التسامح نحو هذه



○ عروس مصرية تزف تحت خيمة يحملها أربعة رجال .

ويمارسون عاداتهم وتقاليدهم سواء كانوا في العاصمة العثمانية او في باريس اولندن وليس عندهم مسرحيات او أوبرا ولكن لديهم حفلة الرقص في كل من (بيرا) و (غلاطه) ويكره المسلمون هذه الاساليب في التسلية وهم لا يرقصون فيما عدا عدد قليل منهم معظمهم من الفقراء وينظر المسلمون الى الراقصات بكراهية وكأشخاص بلا ثقافة او اخلاق . كما يكره المسلمون كراهية تامة الاختلاط بين الرجال والنساء في الرقص المشترك ويقبحون نظام الرقص الغربي حيث يشترك فيه الرجال والنساء . فعلى الاوربيين الذين يعيشون بين المسلمين ان يحترموا تقاليدهم ومشاعرهم ويجتنبوا الممارسات التى لا يحبها الشرقيون لكى يحصلوا على احترامهم .

وقد سمعت عن مواطن تركى زار ايطاليا ايام الاحتفال بأحد اعياد الكرنفال وانه عجب من تصرفات المسيحيين هناك واعتقد انهم فقدوا سلامة عقولهم في الاحتفالات السنوية وانهم استعادوا وعيهم برمى الرماد على رؤوسهم . ولا اعرف مدى صحة هذا القول لكنه على اى الاحوال ذكر في كتاب للمؤلف مونتسكيو عن القصص الفارسية .

عروض عامة في الشرق

لم نتوقع اننا سنشاهد مسرحا في مصر . وعندما وصلنا الى القاهرة رأينا

عددا كبيرا من الممثلين ومنهم مسلمون ونصارى ويهود وقد اخذوا يعرضون مهارتهم في التمثيل والألعاب ولكنهم كانوا فقراء وطلبوا مكافأة بسيطة مقابل عرضهم لمهاراتهم . وكان فناء البيت المفتوح بمثابة مسرح لهم ولم يكن يفصل بينهم وبين المشاهدين سوى ستار بدلوا وراءه ملابسهم . ومع ان التجار الاوربيين عاشوا مدة طويلة في القاهرة الا انه لم تتح لهم فرصة مشاهدة مسرح مصري فرتبنا عرضا لفرقة فنية في منزل ايطالى متزوج ولكن العرض لم يكن مشوقا من حيث الموسيقى او شخصيات الممثلين .

وكان الحوار الروائى بالعربية ولم يكن لدى المام بهذه اللغة بقدر كاف لفهم الحوار فشرح لى بعضهم القصة وكان الدور الرئيسى في المسرحية لامرأة وقد قام رجل بدور المرأة ووجد صعوبة كبيرة في اخفاء لحيته . وكانت المسرحية عبارة عن محاولة من المرأة لجذب السياح الى خيمتها حيث تعرض السائح للضرب والجلد والطرد فيما بعد من الخيمة . ويتكرر نفس التصرف عدة مرات حتى يأتى تاجر شاب يعرب عن ضجره حول تكرار حيلة المرأة المسرحية ويشاركة المشاهدون الآخرون هذا النقد وتضطرب الفرقة لانتهاء العرض وهو ما زال في منتصفه .

وتندر المسرحيات في مصر بينما تكثر عروض الدمى المتحركة حتى في الشوارع حيث تعرض على منصة صغيرة يمكن

المهجورة التى تسكن بها مئات القروء
وقد خرجت القروء ومنها أمهات تحمل
صغارها على الفور لترقص مسامرة
اللعن .

واصحاب القروء لا يحبون الباسها
الثياب الشرقية بل يلبسونها الملابس
الغربية . وهكذا تزيد كراهية الشرقيين
لتقاليد الغربيين وفي رأي الشرقيين ان
الاوربي في ثيابه الغربية وهو يحمل سيفه
في وضع افقى وحاسر الرأس يشبه قردا
بذيله في نفس الوضع .

وهناك من يعرض حيوانات اخرى
كالحمار والخروف بعد تدريب هذه
الحيوانات على تأدية بعض الحركات
المضحكة كما رأينا رقص الثعابين
بدهشة وعرفنا ان الثعبان يبدي استجابة
لضرب الطبول ويرفع رأسه ويرقص .
وقد رأيت منظرا غريبا في احد الايام
عندما نظرت الى متسول في شوارع
القاهرة وهو يحمل سلسلة ضخمة وثقيلة
وادعى بانه كان سجيناً في مالطه واضطر
الى حمل تلك السلسلة لكي يجذب عطف
الناس عليه . وروى للناس بصوت رقيق
المحن التى تعرض لها وهو يعامل في
سجن الاوربيين كالرقيق وكان الامر
الذي أثار غضب الناس هو قوله انه
اضطر الى ان يعيش مع الخنازير في نفس
الحظيرة طوال الليل . واستمع العقلاء
الى قصته بشيء من الاشمئزاز وقد
ادركوا حقيقة نصبه الا انه نجح في خلق
مشاعر العداء نحو المسيحيين بين
الجمهور .

لرجل ان ينقلها بسهولة وتدخل فيها
الدمى كلها وتوجد ثقب في غطاء
الصندوق لحركة الاصابع وتعلق الدمى
بالخيوط وتحرك الاصابع الدمى من
داخل الثقب ويستخدم الرجل الذي
يحرك الدمى جهازا يضعه في فمه حتى
يمكنه من تغيير صوته حسب شخصيات
الدمى . والدمى الموجودة بالقاهرة رديئة
جدا ولا تجذب الانظار ، وعلى العموم
تبدأ الدمى بتبادل التحية ثم يبدأ
الشجار بينها بالتدريج وتنتهي اللعبة بان
يضرب بعضها البعض .

ويحب الشرقيون الفانوس السحري
كوسيلة للتسلية ولم اكن معجبا به لانه
كان عبارة عن سخريه من ملابس
الاوربيين وتقاليدهم . والشعوذة مقبولة
لدى الناس في مصر ويعبر الناس عن
اعجابهم بها الا انها لا تنال اعجاب
الاوربيين بهذه السهولة . ويعجب الناس
بالنافورة المنقطعة التى تتدفق او تهبط
حسب ارادة المحتال لانهم لا يعرفون
سرهما ويجمع الساحر تبرعات المشاهدين
وهي كلها لا تجمع سوى مبلغ تافه لا
يكفيه لكي يعيش .

وعروض القردة التى ترتدى الملابس
يجذب اهتمام المشاهدين وتوجد القردة
بكثرة في غابات اليمن والقرد حيوان ذكى
ومستأنس للغاية ومن طبيعته انه يحب
الرقص وقد اخبرنى احد الضباط من
رتبة الكابتن في شركة الهند الشرقية انه
جرب مرات عديدة عزف الموسيقى
العسكرية بالقرب من المعابد البوذية

الزواج لدى المصريين

لم اتمكن من الحصول على معلومات خاصة عن مراسم الزواج عند المصريين لان جناح النساء يقع في مكان منعزل من اى بيت وكل ما يحدث فيه محوط بالغموض والاسرار . ولا يسعنى الا ان اصف موكبا رأيته في القاهرة بمناسبة الزواج . وقد رسم المستر باورن فيزر صورة له .

سارت العروس وهى مغطاة من الرأس الى القدمين تحت ظلة رفعها فوقها اربعة رجال وكانت هناك امرأتان تسيران الى جانبيها وكان يسير امام العروس عدد من الارقاء يعزف بعضهم الكمان ويحمل

بعضهم مرشات يرش منها الماء المعطر وسار بعدهم النساء والمغنون وهم يركبون الحمير ومعهم عدد من الخدم يعرضون لياقتهم البدنية في اعمال بهلوانية ، وفجأة تصرخ النساء « تو . تو . تو » من الفرح وهو تقليد عندهم . وفي حالة سير الموكب ليلا يحمل العبيد المشاعل ، وفي احد الايام قابلنا موكبا لعروس عربية بالقرب من الاسكندرية وكانت تركب جملا ووراءها المواشى وقطع الاثاث وكلها تشكل جزءا من المهر وكان سير الموكب بطيئا ويتوقف من حين لآخر ويصاحبه عزف الموسيقى واطلاق النار من البنادق .

